

النخب السياسية:دراسة مفاهيمية على ضوء النظريات المفسرة

د. هشام صاغور

المركز الجامعي غليزان، shichem@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2019/05/18؛ تاريخ القبول: 2019/05/24 تاريخ النشر: 2019/06/17

الملخص:

تحتل دراسة النخب السياسية في البلدان العربية خصوصا و العالمية حيزا واسعا في حقل العلوم الاجتماعية و ذلك لما تضطلع به من أهمية كبيرة و ما تملكه النخبة من أدوات مؤثرة في تكوين واستقرار المجتمعات وتشكيل نسق الحكم والفكر والتوجه العقيدي، فمنذ ظهور الاهتمام بدراسة المجتمع الإنساني، هناك تساؤلات عديدة حول طبيعة الجماعات الحاكمة و علاقتها بالجمهير، ولم تعد دراسة النخب حكرا علم الاجتماع السياسي بل تعدي ذلك إلى العديد من المجالات و العلوم فهي الان أحد أهم محاور الدراسات السياسية والاقتصادية

الكلمات المفتاحية: النخب الحاكمة ، النظام السياسي ، النخب السياسية ، النظريات السوسيولوجية،الصفوة، النخب الكلاسيكية

Political elites: Conceptual study in the light of explanatory theories

Abstract: The study of political elites in the Arab countries, especially the world, occupies a great place in the field of social sciences because of its great importance and the elite's powerful tools in the formation and stability of societies and the formation of the system of government, thought, and orientation. Since the emergence of interest in the study of the human society, There are many questions about the nature of the ruling groups and their relationship with the masses, and the study of the elites is no longer limited to political sociology, but to many fields and sciences, it is now one of the most important axes of political and economic studies

Keywords: Ruling elites, political system, political elites, sociological theories, elites, classical elites

أولاً: المفاهيم والمقاربات النظرية للنخبة

إن دراسة الدور السياسي للنخب شكل موضوعاً هاماً للبحث في العلوم الاجتماعية والسياسية منذ أواخر القرن التاسع عشر فلقد جذب دور تلك الأقليات الصغيرة في التأثير على المسائل السياسية والاجتماعية اهتمام علماء السياسة، والاجتماع، بل لا نبالغ إذا قلنا أنه لفت أنظار المفكرين الاجتماعيين على مرّ العصور، إذ اعتقد بعضهم أن النخب تمثل تلك الجماعات التي تتولي اتخاذ القرارات المؤثرة في سياسية المجتمع، ولها من القوة والنفوذ ما يتعدى نطاق أية جماعة أخرى في المجتمع بأسره، وتصور آخرون أن هذه النخب هي مصدر القيم ومنع المعايير والاتجاهات، من ثم فهي العامل الأساسي لتحقيق التماسك والتكامل الاجتماعي و السياسي في دولة ما.

1- مفهوم النخبة:

تدل كلمة النخبة أو الصفوة في اللغة العربية معنى الخلاصة، فيقال صفوة الشيء، خلاصته وخياره، ويقال اصطفاه أي اختاره، والصفوة من الماء ونحوه تعني القليل وانتخب الشيء اختاره، والنخبة ما اختاره منه ونخبة القوم خيارهم والانتخاب هو الاختيار والانتقاء ومنه النخبة وهم جماعة تُختار من الرجال (مكي، 2005، ص 20).

وقد استخدمت كلمة النخبة أو الصفوة *élite* في القرن السابع عشر لوصف السلع ذات النوعية الممتازة، وما لبث هذا الاستخدام أن إتسع للإشارة إلى الجماعات الاجتماعية العليا كـ بعض الوحدات العسكرية أو المراتب العليا من النبالة. وطبقاً لقاموس أكسفورد فإن أقدم استخدام معروف في اللغة الإنجليزية لكلمة "الصفوة" كان في سنة 1823 حينما كانت تنطبق بالفعل على الجماعات الاجتماعية، بيد أن المصطلح لم يستخدم، استخدماً واسعاً في الكتابات الاجتماعية والسياسية الأوروبية بوجه عام إلا في أواخر القرن التاسع عشر وفي ثلاثينيات القرن العشرين في بريطانيا وأمريكا بوجه خاص، حينما أنتشر المصطلح وساد استخدامه في النظريات السوسولوجية للصفوة وعلى الأخص تلك التي تضمنتها كتابات **فلغريديو باريتو**، **Pareto** (بوتومور، 1978، ص 25) وبناء على ما ذكر يمكننا تعريف النخبة من الناحية اللغوية: أنها أفضل جزء في المجتمع.

وأما من الناحية الاصطلاحية فهناك من يذهب إلى أن النخب هي نفر من الناس تؤهلهم طبيعتهم أو اختيار الآخرين لهم لممارسة السلطة، وطرح **لاسويل Lasswell** تعريفاً للنخبة "بأنها أولئك الذين يتمتعون بأكثر وسط من أي قيمة"، ويرى **روبرت دال Robert Dahl** "بأن النخبة هي مجموعة من الأفراد يشكلون أقلية تسود تفضيلاً لهم عند حدوث أزمات تكون متعلقة بالقضايا الأساسية في المجتمع" و يتحدث **رايت ملبز R. Mills** عن النخبة باعتبارها "نخبة القوة" والتي يقصد بها الدوائر الاقتصادية، السياسية والعسكرية التي تتدخل وتشترك في اتخاذ القرارات الرئيسية في المجتمع" (بيومي، 2004، ص 11)

ويعرفها "أبو نعيم" صاحب حلبة الأولياء، من منظور إسلامي مخالف للتعريف السابقة التي يوجهها المنظور الغربي المادي، حيث يقول أبو نعيم "أن الصفوة هم المتسمون بحسن معرفة الله، وحسن الطاعة له، وحسن الصبر على ما أمر به، هم الباذلون للفضل، الحاكمون بالعدل، المبادرون إلى أداء الحقوق من غير تسويف، المعروفون بالطاعات، من غير تطفيف، المتبعون لرسول الله

(صلي الله عليه وسلم) والمقيمون لكتاب الله، الذين لا يفزعهم ذو سلطان غير الله، العافون عمن ظلمهم، المحسنون إلى من يسيء إليهم المصونون عن الغرور برتبية الدنيا" (عمر، 1991، ص 121).

وسنعمد في دراستنا هذه على ثلاث تعاريف لرواد ومنظري النخبة في علم الاجتماع السياسي وهم: باريتو، جيتانو موسكا، رايت ملير.

و التي تعتبر في الحقيقة رد فعل لكتابات كارل ماركس، فقد أراد هؤلاء الكتاب أن يرهنوا على إخفاق النظرية الماركسية الخاصة بإمكانية الوصول إلى مجتمع لا طبقي عن طريق انقسام المجتمع إلى فئة قليلة العدد حاكمة، وفئة محكومة كثيرة العدد، واستخدام هؤلاء المفكرين في ذلك مفهوم الصفوة السياسية كبديل لتصور ماركس الخاص بمفهوم الطبقة الاجتماعية (مكي، 2005، ص 20)

1-1 مفهوم النخبة عند فلريدو باريتو (1848-1923)

لقد عرف باريتو "النخبة" بطريقتين مختلفتين، فهو يبدأ بتعريف عام إلى أبعد حد قائلا "دعنا نفترض أن كل فرد في أي مجال من مجالات النشاط الإنساني لديه دليل أو مؤشر يشير إلى قدراته. (بوتومور، 1978، ص 25) تعبيراً منه إلى الاختلاف و التباين الاجتماعي وحقيقة الاختلاف الناس فيما يتعلق بخصائصهم الأخلاقية والفكرية، ولقد استخدم باريتو *pareto* مفهوم النخبة للإشارة إلى التفوق في مجالات الذكاء والطبع والمهارة والقدرة والقوة... الخ، وعلى الرغم من أنه قد اعترف بإمكانية حصول بعض الأفراد على لقب (نخبة) دون امتلاكهم للصفات التي تؤهلهم لذلك، إلا أنه قد أكد في نفس الوقت إلى الرأي القائل، أن الذين يتميزون بخصائص النخبة سوف يشكلون بالضرورة نخبة مقبلة" (الزيري، 2001، ص 15).

ولقد ميز باريتو بين نوعين من الصفوات: الصفوة الحاكمة وهي التي تمارس الحكم بشكل مباشر أو غير مباشر، و صفوة غير حاكمة، وهي تتمتع بالصفات المميزة للصفوة الأولى و لكنها لا تمارس الحكم و تشكل هاتان الصفواتان الطبقة العليا في المجتمع، أما بقية أفراد المجتمع فيشكلون " في نظر باريتو" اللاصفوة، وهم لا يمثلون وزنا سياسيا كبيرا. (بيومي، 2004، ص 14) والشيء الذي يجذب اهتمام باريتو أكثر من غيره هو التعارض القائم بين أولئك الذين يملكون مقاليد السلطة أي الصفوة الحاكمة، والذين لا يملكون شيئا أي الجماهير، وهذا هو ما نلاحظه في مؤلفه الشهير "العقل والمجتمع" وربما كانت هذه الفكرة بالذات هي من بين الدعامات الأساسية التي قامت عليها تفرقة "موسكا *Mosca*" بين الصفوة والجماهير ولقد كان موسكا هو أول من حاول إقامة علم السياسة يستند في المحل الأول على هذه التفرقة (الاقداحي، 2009، ص 17).

ويضيف باريتو بأن النخبة تلجؤ إلى القوة في حالة تعرضها للخطر، فالنخبة الحاكمة التي تفشل في مواجهة القوة بالقوة، قد تجد نفسها بعيدة عن السلطة، حينما تتمكن نخبة غير حاكمة من الإطاحة بها وعندما تتردد النخبة الحاكمة في استخدام القوة والقهر، وتلجأ إلى المناورة والخداع للمحافظة على بقائها واستمرارها في هرم السلطة، مما يؤدي إلى ظهور أفراد داخل النخبة الحاكمة يتمتعون بالقدرة على استغلال الفرص المتاحة، وهذا ما يؤكد باريتو، حيث يقول "أنه بمجرد الوصول إلى هذا التباين يمثل ظرفاً مناسباً للثورة" وسوف يتمكن الذين لم يتخلوا عن استخدام القوة من الانتصار على أولئك الذين تخلوا عن هذه العادة" (الزيري، 2001، ص 17).

وقد أعرب بارييتو عن فكرته القائلة بأن النخبة الحاكمة تستطيع تحقيق أهدافها بفعالية حين تجهل الجماهير الآليات التي تحكمها وهذا يعني أن الجماهير يجب أن تكون بعيدة تماما عن كيفية وصول النخب إلى الحكم والصراع الداخلي الذي قد ينشأ بينها (الحسني، 1984، ص157)

وقد أشار بارييتو إلى التمييز بين النخبة السياسية والنخبة الاجتماعية عندما ميّز بين الصفوة الاجتماعية والصفوة الحاكمة، فعندما نتحدث عن المعنى الواسع للصفوة يمكننا أن نتحدث عن صفوة عسكرية و صفوة دينية و صفوة زراعية أو صناعية لكن هذه الصفوات لا تتحول إلى صفوة سياسية بمعنى الكلمة إلا إذا مارست العمل السياسي، أو سعت للتأثير على متخذي القرار السياسي وهكذا أو حتى يصبح الحديث عن نخبة سياسية يفترض كخطوة أولى أن يعترف لقلّة ما بأنّها نخبة داخل القطاع الاجتماعي والذي ينتمي إليه صناعي، عسكري، ديني، إداري، ثم بعد ذلك تسعى هذه النخبة للوصول إلى مواقع السلطة أو التأثير عليها.

ونشير هنا إلى طابع الصراع الذي يحكم النخبة السياسية مع غيرها من النخب الاجتماعية عندما تسعى هذه الأخيرة إلى امتلاك القوة والنفوذ لزعزعة مواقع السلطة السياسية وهذا الصراع قد يأخذ طابعا ديمقراطيا كالتنافس على أصوات الناخبين أو طابعا غير ديمقراطي أتي من خارج قنوات العمل الديمقراطي المعترف به، صراع عسكري مع السياسي أو النخبة الدينية مع النظام العلماني الحاكم، ويكون صراعا بين النخب داخل المجتمع المدني. (نلباد ، 2010، ص01)

ولقد صنف بارييتو النخبة على أساس أن هناك نخبة سياسية ونخبة لا سياسية، حيث جاء تقسيمه هذا على أن النخبة السياسية تتشكل من كل المؤثرين سياسيا سواء كان هذا التأثير بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وتضم النخبة عند بارييتو ما يلي:

- أعضاء الحكومة وقادة المعارضة.
- رجال الصناعة.
- قادة العمل.
- الشخصيات العسكرية البارزة.
- عناصر أخرى لها تأثير على علمية صنع القرار السياسي، ويمكن أن تكون نخبة لا سياسية، وتتسع النخبة عند بارييتو في النظم الديمقراطية لتشمل القيادات الحزبية المنافسة، باستثناء الذين يعارضون النظام، وغير الراغبين في الوصول إلى حلول وسطى للمساهمة فيها، وكذلك جماعات المصالح مثل الاتحادات، والموظفين الذين يمارسون الديمقراطية عن طريق المنافسة للمشاركة في السلوك القومي (بن خرف الله، 2007، ص41)

والواقع أن معالجة بارييتو لمفهوم النخبة قد تعرض لإنتقادات عديدة، من بينها:

- تنبيهه للتغيير السيكولوجي لظهور النخبة وتدهورها وتأكيد له نمط الشخصية الملائم للدخول في مراتبها.
- لم يستطع الجمع والتأليف بين كل الأمثلة المتاحة للتوصل إلى نظرية أكثر شمولا وعمقا، بحيث أن كل الأمثلة التي جاء بها، كانت مشتقة من تاريخ السياسة الإيطالية المعاصرة بالإضافة إلى تاريخ روما القديم.

- لم يستطع باريتو إعطاء لنا كيفية ظهور وسقوط النخب بحيث أنه أشار أن النخبة الحاكمة هي مفتوحة نسبياً للنهباء والأذكاء فكيف لا تستطيع هذه الفئة أو النخبة من الديمومة والاستمرار، و على العكس من ذلك فإن إحلال نخبة قائمة محل نخبة أخرى يعني فشل دورة الأفراد المكونين للنخبة الأولى (الزيري، 2001، ص17).

2-1 مفهوم النخبة عند جاتانو موسكا (1858-1941):

يرى المنظر علم الاجتماع الايطالي موسكا إلى مفهوم الصفوة من زاوية مختلفة إلى حد ما، فهو يؤكد أن كل المجتمعات الإنسانية عبر تاريخها قد انقسمت إلى طبقات حاكمة قليلة العدد وتملكها لتقاليد السلطة بحكم قدرتها التنظيمية (بن خرف الله، 2007، ص24)

وطبقات محكومة كثيرة العدد وعلى الرغم من أن هذه الفكرة قديمة قدم الفكر السياسي، إلا أن موسكا قد أكد أن سان سيمون Saint simon قد بلورها وطورها، فحينما يحقق المجتمع قدرا من التطور والنمو، يتعين على طبقة خاصة أو أقلية منظمة تولى مهنة التوجيه السياسي بالمعنى الواسع لهذا المصطلح "أي التوجيه في المجالات الإدارية والعسكرية والدينية والاقتصادية والأخلاقية" (بيومي، 2004، ص24) مثل هذا التوجيه والتحكم يتخذ طابعا قانونيا بشكل أو بآخر، كما يتخذ طابعا تعسفيا أو عنيفا على نحو معين، ولقد فسر موسكا حكم الأقلية للأغلبية من خلال الحقيقة التي مؤداها أن الأولى منظمة وأن سيطرة قلة منظمة وانطلاقها من دافع واحد ثم أيمانها به يقابله حتما أغلبية غير منظمة (بوتومور، 1978، ص27) وأشار موسكا إلى أن "استقرار أي كائن عضوي سياسي متوقف على مستوى الأخلاق والذكاء والنشاط الذي حققه المستوى الاجتماعي الثاني في المجتمع" ومن الممكن بعد ذلك أن نذهب - كما فعل جرامسكي Gramsci إلى أن "الطبقة السياسية عند موسكا تمثل معضلة غامضة" (بوتومور، 1978، ص29).

ويسلم موسكا بأن الجماهير تستطيع ممارسة الضغوط على الحاكم وتنشأ هذه الضغوط نتيجة لإستياء الجماهير من بعض السياسات التي ينفذها الحكام، وقد يؤدي هذا الموقف إلى الإحاطة بالطبقة الحاكمة، وفي هذه الحالة تظهر إلى حين الوجود طبقة حاكمة من بين الجماهير تبني سياسة جديدة أكثر تلاؤما مع مصالح الشعب، ويعتقد موسكا أن قوة الطبقة الحاكمة تنبع من أنها تشكل "أقلية منظمة" في مواجهة "أغلبية غير منظمة". كما أن افتقاد الأغلبية للتنظيم يجعل كل فرد فيها ضعيفا في مواجهة الأقلية المنظمة. إن الأقلية بحكم قلة عددها تستطيع أن تحقق ما لا تستطيع الأغلبية تحقيقه، خاصة إذا ما كان الأمر متعلق بالتفاهم المتبادل والعمل المشترك. (بيومي، 2004، ص14).

إن التصورات التي جاء بها كل من باريتو و موسكا حول النخبة كانت في مجملها تصب في البوتقة نفسها إلا أن هناك فارق بين المنظرين حول دورة الصفوة بحيث: - يُصر باريتو بقوة على الفصل بين الحكام والمحكومين في كل مجتمع، ثم يرفض وجهة النظر القائلة بأن النظام السياسي الديمقراطي يختلف عن غيره من الأنظمة في هذا المجال ثم نجد بعد ذلك يفسر دورة الصفوة تفسيراً

سيكولوجياً خالصاً مستعيناً بفكرة الرواسب (العواطف) التي كان قد عرضها باستفاضة في الأجزاء الأولى من مؤلفه "العقل والمجتمع" (الاقداحي ، 2009، ص92).

- أما **موسكا** فقد كان أكثر وعياً بفكرة تباين الصفوة أي المستوى الأعلى من الطبقة السياسية ذاتها، وأكثر وعياً بالمصالح أو القوي الاجتماعية التي تمثلها الصفوة، كذلك كان **موسكا** مدركاً لطبيعة الصفوة في المجتمعات الحديثة، من حيث روابطها الوثيقة ببقية قطاعات المجتمع (بوتومور، 1978، ص29).

هذه الروابط أطلق عليها اسم "الطبقة الوسطى الجديدة" وهكذا يبدو واضحاً أن **موسكا** قد سمح بوجود فارق بين الديمقراطية الحديثة والأنظمة السياسية الأخرى، وفي الأخير نجد **موسكا** يفسر دورة الصفوة تفسيراً سيكولوجياً وسوسولوجياً في آن واحد، حينما أكد فكرة ظهور صفوات جديدة. "أو ظهور عناصر جديدة من داخل الصفوة ذاتها" وبزوغ قوى اجتماعية تعبر عن مصالح جديدة" كالمصالح التكنولوجية أو الاقتصادية في المجتمع (بوتومور، 1978، ص31).

3-1 مفهوم النخبة عند رايت ملبز R.Mills:

يمكن اعتبار رايت ملبز من الذين ساروا على النهج التقليدي الذي انتهجه **موسكا Mosca** في دراسة النخب مع اختلافه عنه في بعض النقاط المهمة على الخصوص، نجد أنه نظر إلى النخبة كحقيقة أكثر تعقيداً وتنوعاً مما رآها **موسكا**، حيث تحدث عن النخبة كما لو كانت طبقة الأمر الذي أدى به إلى الخلط بين ظاهرتين متميزتين هما: الطبقة الاجتماعية والنخبة، إذ يمكن التمييز بين نخب الطبقة العاملة ، نخبة الطبقة الريفية (الزيري، 2001، ص20).

إن مفهوم النخبة عند ملبز يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقوة، ويحدد أفرادها بأنهم أولئك الذين يتحكمون بالقوة داخل المجتمع، سواء كانت تلك القوة عسكرية أو اقتصادية أو سياسية، ويرتبط مفهوم النخبة في نظر ملبز بعملية صنع القرارات، وأشار ملبز إلى وجود ترابط بين أفراد نخبة القوة بغض النظر عن خلفية القوة التي يستندون إليها (بن خرف الله، 2007، ص24).

عموماً فإن الأفكار التي عرضها ملبز في مؤلفه عن "صفوة القوة" إنما تتمحور حول عدة قضايا أساسية، فهو ينطلق من حقيقة أولية مؤداها أن المجتمع الحديث قد تحول إلى مجتمع الجماعات الصغيرة ذات القوة والنفوذ التي يمكنها التأثير على صنع القرارات السياسية، وتلجأ صفوة القوة في المجتمع إلى تهدئة الجماهير لتظل في حالة سكون وهدهوء، فيبقى الوضع القائم محافظاً على توازنه، ويعتقد ملبز بعد ذلك أن الفساد الذي يواجه صفوة القوة راجع إلى عجز الجماهير. (الاقداحي ، 2009، ص94)

وتلخيصاً لما ذكر، فالنخبة عند رايت ملبز تتجمع لكي تشكل وحدة للقوة تحكم المجتمع، أما الصلات أو العلاقات التي تربط النخب فيما بينها فهي مختلفة الأسس حيث تتمثل فيما يلي:

- وحدة بين النخب علاقات سيكولوجية تتسم بالخصوصية كالتشابه في الأفكار والعقليات وفي الأصول الاجتماعية المشتركة
- هناك تشابه بين أماكن ومصادر التعليم.

ومثل هذه العلاقات الخاصة لاشك أنها تدعم المصالح المشتركة بين النخب ويمكن أن تكون مجموعة من المصالح بين عدد من الجماعات الكبرى أو بين مؤسسات كبرى وفي هذا الصدد يمكن ذكر المصالح المشتركة التي تربط بين العسكريين والهيئات الرأسمالية المستفيدة من الحروب حيث نلاحظ تأثيرها في الإنسان العادي (الزيري، 2001، ص21) .
وتلخيصاً لما ذكر يمكننا أن نعرف النخبة بأنها مجموعة من الأفراد الذين يملكون أكثر مما يجب أن يملكوا، أي المال والسلطة ونفوذ ويؤثرون على الآخرين

ثانيا : النظريات المفسرة للنخبة

لاشك أن المصادر الكلاسيكية لنظريات الصفوة تتمثل في مؤلف باريتو: "العقل والمجتمع" وكتاب موسكا "الطبقة الحاكمة" ودراسة ميشيلز: "الأحزاب السياسية"، وعلينا أن نضيف إلى هذه المؤلفات دراسة بيرنهام: "الثورة الإدارية" ومؤلف رايت مليز "صفوة القوة" وتكمن أهمية المؤلفين الآخرين في أنهما آثار مناقشات واسعة خلال الحقب الأخيرة وعبرا عن استمرار واع للأفكار الكلاسيكية. (الاقداحي، 2009، ص97)

وقد برزت أفكار أنصار نظرية النخبة الكلاسيكية في ظروف انتشار الفكر الاشتراكي والماركسي، وتهديد الليبراليين وأسسهم الفكرية التي يبنون عليها أنظمتهم ومؤسساتهم المختلفة، ومن ثم جاءت نظرية النخبة كرد على مفهوم الطبقة الذي تبنيه الماركسية كوحدة للتحليل، لقد نظرت الماركسية إلى أن الظاهرة السياسية ظاهرة تابعة للبيئة الاقتصادية، ومن ثم فإن دراسة الظاهرة السياسية (أو العملية)، يتوقف على دراسة البناء الطبقي الذي يمثل المتغير المستقل المتحكم في تشكيل البناء الفوقي (النظام السياسي) ومن هذا الجانب قد تلتقي النظرية الماركسية ونظرية النخبة فكلتاها تنظران إلى المجتمع على أنه منقسم إلى قسمين (الماركسية تنظر إلى المجتمع على أنه منقسم بين من يملك ومن لا يملك، والنخبة تنظر إليه على أنه منقسم بين أقلية وأكثريه) وهذا من جهة ومن جهة أخرى كلتاها تقولان بتبعية سياسية للنظام الاجتماعي السائد (شلي، 1997، 205).

لقد أصبحت نظرية النخبة ونظرية الجماعة والسلطة من النظريات الشائعة جداً في الولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول أوروبا في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، وكل منها نظرية سياسية ناضجة مستقلة بذاتها (بيومي، 2004، ص24). ولقد بنيت نظرية النخبة على فكرة أن كل مجتمع يتكون من قسمين رئيسيين:

1- الصفوة المختارة وهي قلة قادرة ومن ثم لها الحق في القيادة العليا.

2- القاعدة العريضة من السكان المقدر لهم أن يكونوا محكومين.

والواقع أن دراسة التوازن الاجتماعي يمكن من تقسيم الطبقة ويمكن القول بوجود مستويين أساسيين:

- مستوى أعلى و ينقسم المستويين فرعيين :

أ- صفوة حاكمة تتألف من الذين يلعبون دورا ملحوظا سواء كان هذا الدور مباشرا أو غير مباشر في إدارة شؤون الحكومة.

ب- صفوة غير حاكمة وهي تلك التي تتكون من باقي أفراد الطبقة.

- مستوى أدنى (الاصفوة) ويشمل أولئك الذين لا يمارسون أي تأثير ممكن على الحكومة (بيومي ، 2004 ، ص 25).
- ويمكننا التمييز بين أربعة اتجاهات أساسية في دراسة الصفوة وهي:
- أولا : الاتجاه التنظيمي الذي يمثلته موسكا وتلميذه روبرت ميشلر.
- الثاني: الاتجاه السيكولوجي وتمثله كتابات باريتو.
- الثالث: الاتجاه الاقتصادي ويمثله بيرنهام.
- الرابع: الاتجاه النظامي ويمثله رايت ميلز.
- 1- الاتجاه التنظيمي الذي يمثلته موسكا و روبرت ميشلر:**

يعتمد هذا الاتجاه على فكرة أساسية مفادها أن النخبة تمتلك مقاليد القوة والقيادة ، وذلك يرجع لما لها من قدرات تنظيمية والبراعة العالمية في تقرير مصادر القوة في المجتمع، حيث تلخصت وجهة نظر موسكا بوضوح بخصوص النخبة الكلاسيكية بقوله: "من بين الوقائع والاتجاهات الثابتة التي تجدها في كل الكائنات العضوية السياسية، ثمة شيء واضح تماما يبدو لكل عين مشاهد، ففي كافة المجتمعات تظهر طبقات من الناس طبقة تحكم وطبقة أخرى محكومة، والطبقة الأولى أقل في العدد دائما وتؤدي كل الوظائف السياسية، تحتكر القوة، وتستمتع بكافة الامتيازات النابعة عنها في حين أن الأخرى، وهي الطبقة الأكثر عدداً إنما تخضع لسيطرة وتوجيه الأولى". (الاقداحي ، 2009 ، ص 98) بالإضافة إلى صغر حجم الصفوة وفرص ووسائل الاتصال وبساطتها، المتوفرة لديها تمنحها هذه المقدرة التنظيمية العالمية التي تمكنها من صياغة سياستها بشكل سريع ومواجهة الأخطار الخارجية ومحاربة القوى المناوئة، وهذا بعكس الأغلبية التي تفتقر إلى التنظيم وغياب الهدف المشترك، وافتقارها إلى نظام الاتصال (شلي، 1997، ص 211).

وتلخيصا لما جاء به موسكا، فالفكرة الجوهرية لدراسة النخبة تتمثل في أن مصدر قوة الأقلية هو قدرتها التنظيمية وتقديرها لمصادر القوة في المجتمع التي قد تكون اقتصادية أو عسكرية أو دينية، كما تعتمد قوة الصفوة أيضا على تماسكها الداخلي، ويؤكد موسكا أن مكانة الأقلية محفوظة دائما كونها أقلية (الاقداحي ، 2009 ، ص 98).

وتستطيع الصفوة أن تواجه التغيرات والتقلبات الخارجية وأن تتكيف معها، ومثل هذه الاستجابة لا تحتاج للجماعات الكبيرة العدد المتنوعة الاتجاهات، والنتيجة المترتبة على ذلك كله هو أن قوة الصفوة لا بد أن تفوق الأغلبية (الاقداحي ، 2009 ، ص 99) و من هنا يرى علماء الاجتماع أن الأقليات الحاكمة تسعى باستمرار إلى إسهام ومشاركة أكبر قدر من الجماهير بضرورة تحقيق الوحدة الداخلية والمحافظة على الاستقرار، وهذا ما يمكن المجتمع من مواجهة الأخطار الخارجية ولهذا فإن النخبة الحاكمة تسعى دائما للضغط على المعارضة و تقزيمها كون هذه الأخيرة غير واعية وتعمل لصالح العدو. (السويدي ، 1991 ، ص 71)

أما روبرت ميشلر و الذي يعتبر تلميذ موسكا ، فقد نادى بما يعرف بالقانون الحديدي للأوليغاركية ، و مفاده قانون عام يسري على كافة المنظمات بما في ذلك الدولة ، و أن الديمقراطية مستحيلة التحقق على أرض الواقع ، نظرا لأن أي نظام ديمقراطي توجد به أقلية قوية أو أوليغاركية تحتكر اتخاذ القرارات المهمة في المجتمع . (الاقداحي ، 2009 ، ص 99)

و لكن عاد ميتشلز و قرر أن الديمقراطية تسمح بظهور عدد من الأحزاب على رأس كل منها أقلية ، هذا التنافس الحزبي يسمح للجماهير بأن تمارس قدرا من التأثير غير المباشر على الأحزاب ، و بذلك فإن الديمقراطية تقيد الاتجاه الأولي حركي و لكنها لا تستطيع تجنبه (مكي ، 2005، ص32)

2 - الإتجاه السيكلوجي (النفسي) باريتو

هذا الاتجاه نادى به باريتو ومن تأثروا بنظريته والتي ترى بأن القوة بالنسبة للنخبة تكمن في ميزات السيكلوجية (بن خرف الله ، 2007، ص38) ولقد عرض باريتو أفكاره في كتابه "العقل والمجتمع، **Mind and Society** ، وأن النخبة لديه قد تشكل جزءاً من نظرية سوسيوولوجية عامة تفسر النشاط الاجتماعي بالرجوع إلى عوامل نفسية معينة، فالنخبة ليست نتاجاً للأوضاع الاقتصادية، ولا تعتمد على مهارات تنظيمية، ولكنها نتاج ما أسماه بالثواب التي قصد بها الصفات الإنسانية الدائمة والثابتة على مدار التاريخ. (مكي ، 2005، ص33).

والواقع أنه لم يكتف باريتو بمجرد تقديم وصف علمي لبناء النخبة ولكنه انتقل مباشرة إلى معالجة التغيير الذي يطرأ على النخبة، نتيجة معالجته نظرية "دورة النخبة **Circulation des élites**"، والتي تشكل إحدى القضايا الهامة في علم الاجتماع السياسي، والتي تتضمن تصورين أساسيين، فمن ناحية تشير دورة النخبة إلى العملية التي بمقتضاها يدور الأفراد بين النخبة الواحدة، ومن ناحية أخرى تتضمن الدورة باحتلال مكانة النخبة الحاكمة بنخبة جديدة. (مكي ، 2005، ص33).

وحلل باريتو التاريخ الإنساني على أنه صراع نخب، وفي ضوء تفسيره لسيطرة النخبة وتغييرها، استخدم مفهوم الرواسب **Residues** الذي لا يعدو أن يكون انعكاساً لميول للفطرة الإنسانية، و صنف الرواسب إلى مجموعتين (مكي ، 2005، ص33). المجموعة الأولى: تمثل تلك الرواسب التي تعكس "غريزة التكامل" ، وهي قدرة توجد عند الإنسان تربط الأفكار بعضها البعض، من خلال إعمال الخيال الخلاق وتمثل منتجات هذه الغريزة الفنون، والإيديولوجية، الأحزاب السياسية، والمناورات. أما المجموعة الثانية: رواسب غريزة تهتم باستمرار التجمعات ودوامها، بحيث تؤدي إلى النزعة المحافظة، و المتمثلة في الاستقرار والنظام العام، ومن الناحية السياسية تؤكد هذه الرواسب على الانتظام والتضامن.

ويؤكد باريتو في الأخير بأن تباين توزيع هذه الرواسب يعتبر عنصراً هاماً في المجتمع، فهو المسؤول عن بناء الصفوات وعلاقتها بالجماهير، و من هنا نجد يفرق بين نوعين من الصفوة هما: الصفوة الحاكمة والصفوة غير الحاكمة. (الاقداحي ، 2009، ص100)

3- الاتجاه الاقتصادي بيرنهام:

يسعى هذا الاتجاه إلى تطوير صيغة ملائمة للتوفيق بين النظرية الماركسية عن الطبقة الحاكمة وبين نظريات الصفوة، فيذهب هذا الاتجاه إلى أن الموقفين يكمل أحدهما الآخر (الاقداحي ، 2009، ص105). ولعل أهم دراسة قام بها كانت سنة 1941 والفكرة

الأساسية في هذه الدراسة تتلخص في أن النظام الرأسمالي أخذ في التدهور وأنه من الضروري أن يحل محله مجتمع جديد يسيطر عليه من الناحيتين الاقتصادية والسياسية وهي "نخبة إدارية (الزيري، 2001، ص27)، ولقد سلم بيرنهام في كتابه "الثورة الإدارية" مثله في ذلك مثل كتاب النخبة التقليدية، أن السياسة دائما هي مسألة صراع بين الجماعات الاجتماعية في سبيل الوصول إلى القمة والمكانة، وأنه في كل المجتمعات هناك فئة صغيرة تتولي عملية صنع القرار واتخاذ السياسات الملائمة للمجتمع، ويتفق مع النظرية الماركسية في فهمه وتفسيره للأسس التي تستند إليها الصفوة (مكي، 2005، ص35)، والتي تستمد قوتها من ملكيتها لوسائل الإنتاج و التي تجمع من خلالها ثروات كبيرة تفتح لها آفاق السيطرة السياسية، وإذا ظهرت قوة اقتصادية جديدة بفعل ابتكار فن إنتاجي جديد أو توصلها إلى السيطرة على وسائل الإنتاج، فإن النخبة تفقد قوتها لتحل محلها القوة المتحفزة الجديدة، إلا أن هناك عوامل عديدة منها أزمت النظام الرأسمالي، وتعدد الشركات المساهمة، وضعف الأسهم بين الكثير من المشاركين، يفسح المجال للمسيئين الإداريين ويضعف سلطات الرأسمالية، بسبب استبعادهم عن العمليات الإنتاجية، وهذا ما يؤدي بمرور الزمن إلى بروز صفوة إدارية و تكنوقراطية، تتحول إلى صفوة سياسية حاكمة تجتمع لها السيطرة السياسية والاقتصادية معاً (شلي، 1997، ص212).

إن الفكرة الجوهرية التي جاء بها بيرنهام على أن النظام الرأسمالي في تدهور مستمر، وأنه سيتحول تدريجياً إلى مجتمع تسيطر عليه صفوة إدارية تتولي شؤون الاقتصاد والسياسة، وميز بين فئتين أساسيتين من المديرين:

الأولى: تشمل العلماء والمتخصصين في التكنولوجيا.

أما الثانية، فتضم المديرين القائمين على تنظيم عملية الإنتاج.

ويري بيرنهام أنه في المجتمعات الرأسمالية الحديثة، أصبح هناك فصل بين ملكية المشروعات الاقتصادية الكبرى وإدارتها، والقضية الأساسية أن المديرين قد اكتسبوا قوة التنظيم والتسيير و هي أكثر من القوة الاقتصادية التي تعد من الناحية الرسمية في يد الملاك الرأسماليين (مكي، 2005، ص35).

4- الاتجاه النظامي راين ميلز:

يشارك رايت ميلز - بيرنهام - في موقفه بأن بناء المكانة في النخبة لا يفسر من خلال عبقرية، أو سيكولوجية الأفراد أعضاء النخبة، وإنما من خلال بناءها الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع (الزيري، 2001، ص28). فمركز القوة يرتبط بتوزيع الأدوار الاجتماعية، وبينما أراد بيرنهام أن يربط القوة بالمجتمع بالسيطرة على وسائل الإنتاج، فإن رايت ميلز يربط القوة بالنظم الكبرى والمنظمات الهائلة التي انتشرت في المجتمع الحديث (الاقداحي، 2009، ص108)

و في هذا المجال يرى ميلز إن تلك القلة الحاكمة في المجتمع هي قلة من الأفراد الأقوياء، الذين يمثلون المراكز الحاكمة في المؤسسات الكبيرة في ذلك المجتمع، تتألف من صفوة مركبة قوامها رجال الحكم والإدارة، وأساطين الصناعة، والقادة العسكريون، الذين يستمدون قوتهم من المؤسسات والمنظمات السياسية والاقتصادية والعسكرية التي يسيطرون عليها ويديرونها، مما يمكنهم من وضع القرارات السياسية الملزمة، فالصفوة التي قام ملير بدراستها في أمريكا تتكون من أولئك الذين يحكمون الشركات الضخمة

ويدبرون آلة الدولة ويطالبون بامتيازاتها، كما أنهم يدبرون المؤسسات العسكرية ويحتلون الوظائف الإستراتيجية القائدة في البناء الاجتماعي (شليبي، 1997، 212).

و قد رصد ميلز وجود ثلاثة صفوات رئيسية في المجتمع الأمريكي، تشكل في مجموعها نخب قومية، تحاول الحصول على التأييد الشعبي و حماية قيم الديمقراطية، تتمثل في رؤساء الشركات، و القادة السياسيون، و القادة العسكريون ، تحاول الحصول على تأييد الشعبي و حماية قيم الديمقراطية.

تتميز هذه النخب بتجانس أصولها الاجتماعية، و تماسكها فيما بينها، باعتبارها تمثل الطبقة الحاكمة.

و انطلاقا مما سبق ميز ميلز بين أربعة مفاهيم للنخبة هي :

المفهوم الأول: يستند إلى الهيكل الاجتماعي، وأن مركز النخبة داخل المؤسسات لا بد أن يستند إلى القوة السياسية.

المفهوم الثاني: ضرورة امتلاك النخبة لأكثر قدر من القيم الموجودة فعلا، و يتبع ذلك بالتالي تعدد النخب إثر تعدد أنواع القيم، سواء كانت ثروة أو نفوذا أو مركزا اجتماعيا.

المفهوم الثالث: يعتبر النخبة مجموعة تمثل عصبية من الأفراد على قمة الهرم الاجتماعي تسود بينهم علاقات قوية بحكم علاقتهم الاجتماعية والوظيفية مع تمييزهم بالتماسك.

أما المفهوم الرابع: فيستند إلى الصفات المعنوية والنفسية لبعض الأنماط من الشخصيات، فالنخبة تُعتبر مجموعة من الأفراد المتميزين بصفات معينة. (مكي، 2005، ص37).

و نتيجة لما سبق، يمكن القول بأنه لا يمكن إهمال أي جانب من الجوانب الأربعة السالفة الذكر، عند التطرق إلى مفهوم النخبة، باعتبار أن تلك الاتجاهات متداخلة مع بعضها البعض، و تشكل في مجموعها الصفات الواجب توافرها في النخبة .

الخاتمة

يعتبر موضوع النخب السياسية وخاصة الحاكمة من بين أهم المواضيع المتداولة في حقل العلوم السياسية حيث انطلق المنظرون في هذا المجال من فكرة واحدة وهي تميز النخبة الحاكمة عن غيرها بصفات متعددة قد تكون موجودة لدى غيرها ولكنها لا تمارس السلطة، في حين ترى النظريات المفسرة أن تفسير ظاهرة النخبة هو انعكاس لظاهرة الطبقة داخل المجتمع حيث نجد نفس التفسير الذي جاء به وسكا وباريتو حول تواجد تقسيم طبقي للمجتمع وذلك بوجود طبقة بسيطة ولكن تتحكم في مقاليد الحكم وأخرى كبيرة تكون مسؤوليتها الانصياع إلى الطبقة الأولى المكلفة برعاية المجتمع سياسيا واقتصاديا..... الخ

قائمة المراجع

- 1- ثروت مكي، النخبة السياسية والتغيير الاجتماعي، تجربة مصر من 1952-1967، القاهرة، عالم الكتب، نشر توزيع، طباعة، 2005، ص 20.
- 2- بوتومور، الصفوة والمجتمع : دراسة في علم الاجتماع السياسي، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1978، ص 25.
- 3- على محمد بيومي، دور الصفوة في اتخاذ القرار السياسي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2004، ص 11.
- 4- السيد محمد عمر، الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام، رسالة دكتوراه في العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، القاهرة، 1991، ص 121.
- 5- عبد الله الزبيدي، النخب السياسية في الجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، فرع تنظيم السياسي والإدارية، جامعة الجزائر، 2001، ص 15.
- 6- هشام محمود الأقداحي، سيكولوجية النخبة العليا والزعامة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2009، ص 91.
- 7- السيد الحسيني، علم الاجتماع السياسي: المفاهيم والقضايا، ط2، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1984، ص 146-157.
- 8- الطاهر بن خرف الله، النخبة الحاكمة في الجزائر (1962-1989) بين التصور الإيديولوجي والممارسة السياسية، الجزء الأول، الأساس الإيديولوجي للنخبة الحاكمة في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 41.
- 9- محمد شلي، المنهج في التحليل السياسي، مكتبة نوميديا للثقافة والعلوم، الجزائر، 1997، ص 205-206.
- 10- محمد السويدي، علم الاجتماع السياسي، ميدانه وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص 71.
- 11- فرجي نلباد، نظرية النخبة: التخرب والتنظيم، الحوار، التفاعل وإقرار السياسات في الأحزاب والمنظمات اليسارية والديمقراطية، الحوار المتمدن، العدد 2878 - 01/2010 / 04 من الموقع الإلكتروني

www.ahewar.org

للإحالة على هذا المقال: هشام صاغور، (2019)، «النخب السياسية: دراسة مفاهيمية على ضوء النظريات المفسرة». الرواق، المجلد: 05، العدد: 01، جوان 2019، ص.ص.71- 82